Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النسيء كان وظيفة من الوظائف الدينية العريقة التى تعتز بها القبائل ، فيقول « عمير بن قيس » يفخر بالنسأة من قومه بنى مالك بن كنانة :

ألسنا الناسئين على مَعَدٍّ شهورَ الحِلِّ نجعلها حراما ؟

كما افتخر « أوس بن تميم السعدى » بما كان قومه يتولون من إجازة الناس بالحج من عرفة :

لا يبرحُ الناس ما حَجُّوا مُعَرَّفَهم حتى يقال : أجيزوا آلَ صَفوانا
مجدٌ بناه لنا قِدْماً أوائلُنا وأورثوه طوالَ الدهر أخرانا

وفى قريش ، كان شرف وظائف سقاية الحجيج ورفادتهم فى الموسم ، وراثةً من جدهم « قصى بن كعب بن لؤى » المضرى العدنانى .

ويذكرون من خبر السقاية ، أنها لما آلتْ إلى « عبد المطلب بن هاشم » – جد المصطفى عليه الصلاة والسلام – شقَّ عليه ما يلقى الحجيج من شُح الماء . فذكر بئر زمزم التى أنقذت جده إسماعيل وجذبت إلى مكة قوافل الرعاة . وكان الناس إلى زمن عبد المطلب ، يتناقلون خبر جرُهم لما طمرت بئر زمزم ، عند خروجها من مكة . فتعلق أمل عبد المطلب بالعثور على النبع المبارك المطمور . ومع طول التفكير صار هذا الأمل مشغله ليله ونهاره . حتى دلَّتْه رؤيا ملهمة على موضع البئر ، فغدا إليه بمعوله ، ومعه ابنُه الحارث ، ليس له يومئذ ولد غيره . فلما همَّ بالحفر تصدت له قريش تتحداه أن يحفر هناك . وقد استضعفته أنْ لم يكن له غير ولد واحد . لكنه لم يبال غضب قريش ورفضها ، وتابع الحفر حتى بدت له الحجارة التى طُوِيت زمزم تحتها . وعاد الماء فتدفق من النبع المبارك ، يسقى الحجيج . .

يومها ، نذر عبد المطلب لئن وُلِد له عشرة أبناء وبلغوا معه بحيث يمنعونه ، لَينحرنَّ أحدهم عند الكعبة . وتوافى بنوه عشرة ، فتلبث عبد المطلب حتى بلغ أصغرهم « عبد الله » رشده ، ثم دعا بنيه إلى الوفاء لله بنذره ، فلبُّوا طائعين ، وما يدرون أيهم الذبيح حين خرج بهم أبوهم إلى الكعبة وقد حمل كل منهم قدحاً باسمه . وضرب صاحب القداح عليها ، فخرج على قدح عبد الله ، وقد كان أبوه يتمنى فى نفسِه ، أنّ لو أخطأه السهم . . .

وتكررت قصة الفداء : همّ الشيخ بذبح ولده ، فما إن مَسَّت الشفرة منحره حتى قامت قائمة قريش ، وقد هالها أن يغدو عملُ عبد المطلب تقليداً يُتبع ويورث ، أو كما قالت يومها :